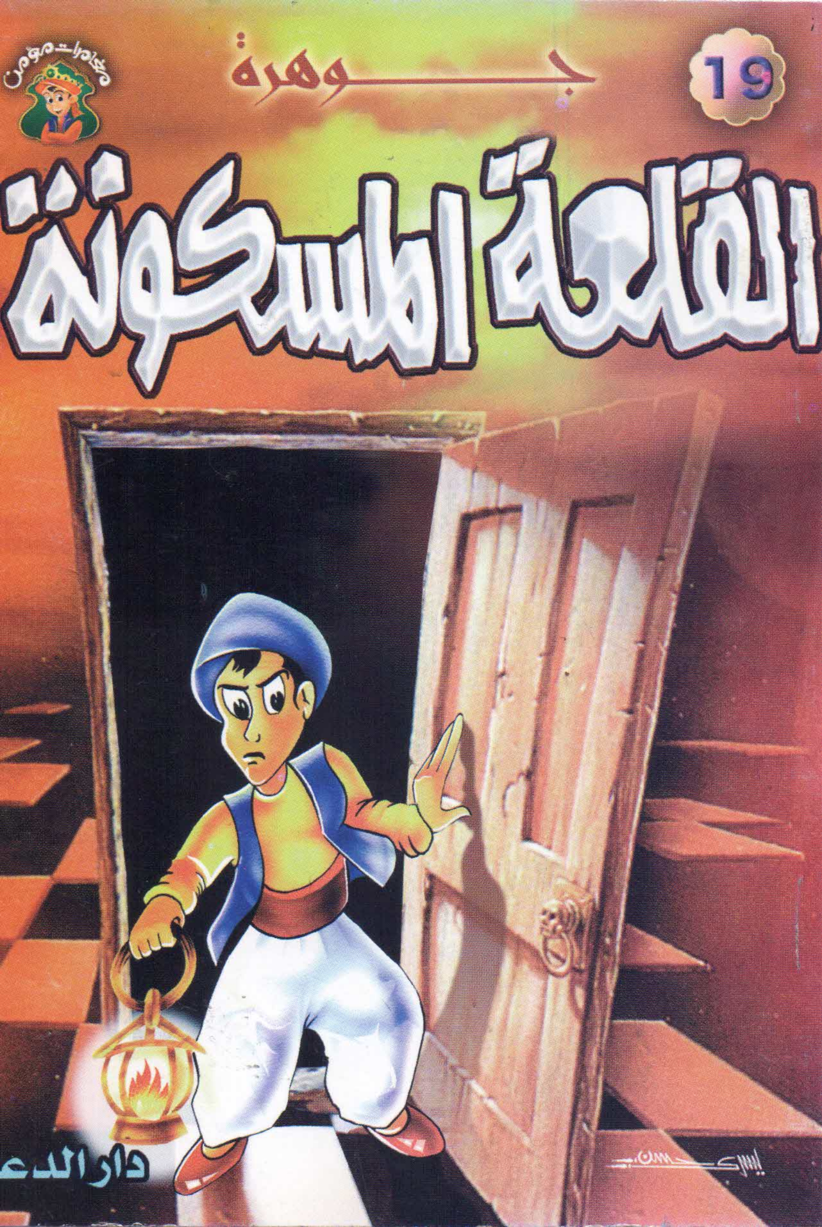


مغامرات مؤمن
جـــــوهرة
19
القلعة المسكونة
دار الدع



- سلسلة مليئة بالإثارة والتشو
- أغـــرب الرحـــلات والمفارقـ
- تجـمـع بين المتعـة والمعـرفـ
- لاغنى عنهافي الرحلات والبيت والمواص

جوهرة القلعة المسكونة

اتجاهنا كان للباب الكبير الذى لم يبد أنه قد فتح منذمئات السنين وبه باب صغير هو ما دخلنا منه .. شعرت بشئ ينقبض فى صدرى .. البرودة تغلف كل شئ .. المكان فى الرهبة يقبع .. فهو موحش مخيف .. نحن الآن فى ردهة واسعة لها نوافذ كبيرة تطل على البحر مباشرة ويندفع منها الضوء المريض ليسقط على بلاطات الأرضية التى لا تشعرك بالصداقة أبدا .. !

دار الدعوة
للطبع و النشر و التوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفاكس / 3901914 - 3907998

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً

(١٩)

جوهرة

القلعة المسكونة

حقوق الطبع محفوظة للناشر
الطبعة الثالثة
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع القانونى
٩٨/١٦٩٥٠

الترقيم الدولى : 977-253-101-1

تحذير
لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائى أو تليفزيونى أو إذاعى أو مسرحى أو شرائط فيديو إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر .

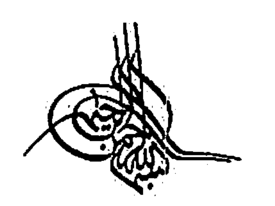
دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية
☎ ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ - فاكس ٥٩٥١٦٩٥

جوهرة

القلعة المسكونة

تأليف / علاء الدين طعيمة
رسوم / يسري حسن
الإشراف العام / أحمد خالد شكري





على قدر إمكانيـات الفرد وعلى قـدر ما لديه من قوة تحـمُّل تأتيـه الأمور.. وكلمـا كان قويا وشـديدًا وصلبا ومـؤمنا استطاع أن يجـابه المصاعب وينتـصر على الأعـداء وفى الحـقيقـة .. لقـد حـدثنا القـرآن الكريم عن عالم من المخلوقات ..

يعيشون بيننا ويسكنون فى بيوتنا ويروننا ولكن لا نراهم..لهم طاقة عالية تجعلهم يتحـركون بسرعة أكبر من قـدرتنا على الإبصـار .. وهم عـبادٌ لله مـثلنا تمامـا وأيضا فـيهم الطيب والخبيث.. كما أن فيـهم الشرير والمؤمن والمجرم .. ولن نطيل الحـديث ولندع صديقنا البطل«مـؤمن» يحكى لنا كمـادته عندما قال: «الـقلعة المسكونة» .. هذا مـا أحب أن أطلقـه على مـغامـرتى

التى سأقص عليكم تفاصيلها المتناهية فى الغرابة والعجب بل أيضا والرعب.. وأنا لا أريدكم أن تخافوا وأنتم تقرءون هذه السطورالتالية .. ولكن فليحاول القوى منكم أن يتمالك لأن ماحدث لى لم يكن باختياري... إنما أقصه عليكم الآن مغامرة شيقة مثيرة.. وأرجو لكم مزيدا من السعادة والمتعة والإفادة.

فى ذات مرة من المرات أخذت أبحث فى التاج على ما يدلنى على مكان مغامرتى الجديدة فوجدت أنها ستكون فى جزيرة فى البحر المتوسط .. وأذكركم بأنها ليست تلك المغامرة التى سوف أرويها لكم فى عدد قادم بإذن الله عن الجزيرة التى رمانا إليها المحيط المخيف بعد رحلة بحرية شاقة ولكن هى شىء آخر

مختلف المهم أننى كعادتى ودعت أمى وذهبت أحزم أمتعتى ثم سافرت إلى المكان المحدد .. وعندما وصلت وألقتنى السفينة التى تجوب البحار .. وجدت أن تلك الجزيرة قد خالفت ظنى.. فلقد توقعت أنها كتلك الجزر الخضراء المليئة بالشجر وما لذّ وطاب من الخيرات.. ولكنى هبطت إلى جزيرة صخرية لا أكاد ألمح فيها أى شىء من الخضرة .. وإلى حد كبير كنت ألحظ أن الجزيرة مستطيلة الشكل وترتفع على أرضها جبال صخرية ذات لون رمادى يميل إلى السواد بفعل الطحالب البنية التى تراكمت على أجزائها السفلية من زمن طويل.

وقفت حائرًا .. أتساءل ...أين السبيل ؟ المكان كله يبعث رهبة فى الصدر ويبدو أنه لا أثر للأحياء فيه .

وترفقت بنفسى فاتخـذت معسكرا وأشعلت نارا من بقـايا الأعشـاب البحـرية الجافـة وجلست أتأمل المكان وأنا ألتمس راحة بعد مجهود الرحلة الكبير .. وأتى الليل وأنا عـلى تلك الحـال .. ولأننى تعـودت سابقـا على هذه الظروف فلم يروعنى ما أنا فـيه من غـربة أو وحـدة .. ولما غلبنى النوم اتخـذت لنفـسى فراشا بسيطا ثم رحت فى سبات عميق.

واسـتيـقظت والليل مـا زال ينشـر أجنحتـه على صوت لغط وكلام : فقمت فز ما لاأكاد أرى شيئا .. الأصـوات تأتى من البحـر .. حاولت أن أتسـمع .. هناك صـوت رجـال ونسـاء .. هه .. صـوت طفل يصيح بأمه .. يا ترى من هؤلاء القوم ؟

ـ إلى أين أنت ذاهبة الآن يا امرأة ؟

ـ سأغادر الجزيرة ... لن أعيش هنا بعد الآن .

ـ هل جننت يا امرأة ؟ .. لن تأتى السفينة السيارة إلا بعد أسبوع هل سنجلس على الشاطئ هكذا ؟ .. أليس من الأولى أن نعود إلى القلعة ؟

ـ لا .... لا .... المستحيل أقرب من عودتى للقلعة .. وهذه المجنونة المريضة .. ألا تخشى على طفلنا من الخطر ؟

ـ اسمعينى يا زوجتى .. اسمعينى .. لقد تعاهدنا على البقاء فى القلعة حتى نستطيع توفير اللؤلؤ .

ـ اللؤلؤ .. اللؤلؤ .. كفانا من هذا الوهم ..

ـ حبيبتى ... لقد جمعنا حتى الآن خمس

لؤلؤات .. والبقية فى الطريـق .. كيف نعود للمدينة ولم نملك بعـد ثمن بيت لنسكن فـيه وليس لدينا مـا نطعم به طفلنا هذا ولا أنفسنا ؟

ـ آه .. آه .. يا لحظى العاثر .. كـيف وافقتك على ذلك ؟ ألا يوجـد مـصدر آخـر للرزق غـيـر الجنون الذى وافقتك عليه ؟

ـ لابد أن نستـمر فى الذى بدأناه يـا زوجتى .. لا تدعى اليأس ينال منك هيـا ... من أجل طفلنا .. هيا ولا تبكى .

ورغم الظـلام الدامس إلا أننى لمحت شـبـحى الرجل والمرأة وهما يحملان الطفل حـتى اختفيا عن نظرى تماما .. وغـمرنى شعور بالراحـة .. لأنه يوجد أحياء فى الجزيرة .. وحاولت النوم ولكن عقلى أخذ



يعمل بشدة .. ما هى حكاية اللؤلؤ ... وما الذى يدفع المرأة للهرب من القلعة والجزيرة . ومن هى المجنونة المريضة ؟ أخذت أتخيل طبيعة الأمر .. ولكننى عجزت عن الوصول إلى هدى فى هذا الأمر.. يبدو أن هذه القلعة فيها ما يثير المرأة ويؤرقها.

ونمت مرة أخرى حتى أشرقت الشمس ثم عزمت على استجلاء الحقائق .. فحزمت الأمتعة وسرت أتجه ناحية الجزء الشمالى من الجزيرة حيث ذهب الرجل وزوجته . كنت أتخطى هذه الأسنة الصخرية الحادة الخطرة .. حتى أنهكنى التعب .. كانت السحب كثيفة فى هذه الناحية وكلما سرت فى اتجاهى يزداد الضباب كثافة . حتى تعذر على تَبيُّن الطريق .

واستطاع ناظرى أن يحدد أن هناك ثمة جبل شاهق مدبب يقبع فى مقدمة الجزيرة وعندما اقتربت أكثر تبينت الحقيقة .. إنها القلعة .. تربض فوق الجبل وعلى القمة لتصبح هى القمة .

كنت ألهث وأكاد أختنق ولكن المنظر المهيب لهذه القلعة جعلنى أقترب أكثر وبسرعة لأرى أنها قلعة بنيت من نفس الصخور الرمادية .. أسوارها تبدو حصينة وأبراجها المتجمعة فى طرفها الأيمن تلفها حزمة من الضباب الكثيف .. وفيما يبدو هناك طيور جارحة لا تمل من التحليق حول هذه الأبراج..

اقتربت حتى أصبحت عند قاعدة الجبل .. فلم أتمكن من عمل أى شىء إلا بعد أن تناولت إفطارا بسيطاً واسترحت قليلاً.. وكلما رفعت بصرى إلى القلعة تملكنى شىء من الرهبة .

ولن تتخيلوا أننى قضيت طيلة النهار أحاول الاهتداء إلى الطريقة المتبعة لتسلق هذا الجبل والوصول للقلعة إلا أننى لم أفلح .. واقتربت الشمس من الرحيل وأنا أدور حول قاعدة الجبل ما بين اليابسة والشاطئ الصخرى الصخب وأنظر فى كل جزء .. ولكن يبدو أن فى الأمر سرا .

ـ من ؟ ... من هناك ؟

كان هذا صوت المرأة التى سمعتها بالليل .. لا أعرف من أين أتت وظهرت أمامى فجأة :

ـ أنا ... أنا مؤمن ... أنا صديق يا سيدتى

كانت فى منتهى الخوف والفزع تنظر لى ..

ـ مؤمن ؟ .... وماذا تريد .... ؟

ـ حكاية طويلة يا سيدتى .. ولكن أرجو أن

تعتبـريني صديقا .. لقد سمـعت حديثك مع زوجك بالليل عند الناحية الأخرى من الجزيرة ..

ـ من أنت ؟ وكيف جئت هنا ؟ ولماذا ؟

ـ سيدتى .. لا تخافى .. لست قرصانا ولا أطمع فى اللؤلؤ الذى يجمـعه زوجك .. أنا هنا فى غرض آخر . .

ولما سـمـعت منى هذا الـكلام تباسطت مـعى وأدركت أنهـا كـانت تـخـاف أن أكـون طامـعًـا فى اللؤلؤ..

ـ أهلا بك يا مـؤمن ... مـا دمت لاتبـحث عن اللؤلؤ .. فـأنا وزوجى سنكون فى قـمـة السعـادة إذ يشاركنا جار جديد مأوانا المخيف .

ـ المخيف ؟!

ـ آه ... لا .. لا تُعِر لكلامي اهتماماً .. فأنا كثيرا ما أبالغ في حديثي .. أهلا بك . تعال .. تعال إن زوجي في القلعة .. إنه سيسعد بك كثيرا .

ودهشت كثيرا إذ أن السيدة صعدت بي إلى صخرة ناتئة من الجبل خلفها وجدت طريقا رمليا حلزونيا يختفي بين أحضان الجبل ويؤدي في النهاية إلى باب القلعة .. والأغرب أنك إذا كنت على الأرض لا يمكنك أن تلمحه ولا أن تعرف كيف تجده.. إنها من أساليب التمويه المعقدة .. ووصلنا إلى الباب .

ـ ادخل يا مؤمن ... لا تخف

لم يكن يبدو عليَّ الخوف .. ولا أدري لماذا كانت تظنني كذلك .. هل لأنها تشعر بالخوف وتظن أن كل

من سيدخل هذه القلعة لابد أن يخاف هو الآخر؟!

ـ ها نحن فى فناء القلعة .. لا تخف .. تعال .

كان فناءً واسعا به حديقة متوحشة الأشجار ويتصدره المبنى الرئيسى للقلعة كنت أقترب وأنا مشدوه مأخوذ .. أنظر لهذه النوافذ الزجاجية الطويلة والتى يحميها شباك من الحديد الصدئ .. ويزين جدرانه فوانيس معدنية لا أدرى كيف تضىء.. اتجاهنا كان للباب الكبير الذى لم يبد أنه قد فتح منذ مئات السنين وبه باب صغير هو ما دخلنا منه .. شعرت بشىء ينقبض فى صدرى .. البرودة تغلف كل شىء .. المكان فى الرهبة يقبع .. فهو موحش مخيف .. نحن الآن فى ردهة واسعة لها نوافذ كبيرة تطل على البحر مباشرة ويندفع منها

الضوء المريض ليسقط على بلاطات الأرضية التى لا تشعرك بالصداقة أبدا . ومن فتحات صنعتها عوامل التعرية كانت الريح تلهو بأصوات كابوسية مريعة .. ولا يوجد أى أثاث فى هذه الردهة فيما عدا شمعدانات متناثرة على الحوائط .

ورأيت سلّماً حديديا له درجات حجرية يرتفع حلزونيا مندفعا فى أعلى برج من أبراج القلعة كأنّه يؤدي إلى المجهول .

ـ تعال يا مؤمن .. فلندخل يسارا .

وفى اليسار كان هناك مدخل إلى دهليز مقبض.. سرنا فيه قليلا ثم عرجنا إلى حجرة ضيقة بها باب دخلنا فيه إلى حجرة كبيرة بها أثاث قديم متهالك وهو عبارة عن فراش كبير يخص الرجل والمرأة

ودولاب كبير أيضا وفراش صغير للطفل وعدة مقاعد خشبية متناثرة ومنضدة دائرية ومكتبة عريضة تحوى كتبا كثيرة بالغة القدم أيضا .. والأرضية مفروشة بسجادة حمراء باهتة وذات النوافذ الطويلة العالية تبتلع الحائط الأمامى المطل على البحر ولكن تشف عنها ستائر صفراء باهتة قرضتها من قبل حشرات النسيج . وكان الرجل يجلس إلى مقعده مواجها المكتبة ولما دخلنا استدار فزعا من رؤيتى .

ـ سارة .. من هذا الغلام ؟

بادرت زوجته تطمئنه : ـ

ـ إنه مؤمن.. صديق طيب قابلته بمحض الصدفة بعد أن ضلّ الطريق .

٢٠

ـ مرحبا يا سيدى ..

جلسنا جلسة طويلة امتدت بنا إلى عمق الليل تكلمنا فيها عن مغامراتى وأعجبتهما بشدة وحدثانى عن حياتهما والفقر الذى عانيا منه كثيرا قبل الإتيان إلى القلعة وعن أحلامهما .. وكنت أنتظر أن يتكلم أحدهما عن القلعة ومتاعبها .. ولم يحدث .

ـ إذن يا صديقنا .. أنت من الآن جارنا الجديد .

ـ عفوا .. ما الذى جعل السيدة سارة تفزع من القلعة وتريد العودة بالأمس ؟

ـ هه ؟ .. آه .. أنت تعرف النساء .. المكان كما ترى موحشا .. وهذا الجو يبعث على تهيؤات لا حقيقة لها .

نظرت إلى وجه سارة وزوجها كرم يخالف، الحقيقة كان ذلك واضحاً ذلك على ملامحها وملامحه .. وهذا مما زادنى خوفا ..

- سيدتى سارة .. عفوا .. بالأمس سمعتك تتحدثين عن المجنونة المريضة .

[أحسست أن عبارتى وسؤالى كأنه سهم قذفته فى حلقيهما فصدرت منها آهة مفاجئة] .

دم بادر زوجها كرم قائلاً :

- آه .. اسمع يا مؤمن .. يبدو أنك لابد أن تعرف كل شىء عنها .. فهى أيضا جارتنا .. ولكن لها وضع خاص .. إنها من آثار المكان .. لا نعرف منذ متى وهى هنا .. لقد كنت آتى لهذا المكان وأنا غلام

مثلك وهى تسكن قمة البرج فى غرفة محطمة النوافذ .. بالليل يزداد مرضها ويشتد بها الألم فتأخذ فى الصراخ المميت ولا ندرى لماذا يزداد صخب الأشياء عندما تصرخ .. كأنما تشاركها النوافذ والأجراس والأمواج والأبواب والطيور الجارحة آلامها .. لا أدرى بالتحديد .. كل ما فى الأمر أنك إذا تعودت على ذلك .. أمكن لك التآلف مع الحال دونما خوف .. الأمر فى أوله شاق .. ولكن انظر .. إن سارة لا تعبأ اليوم بها وكأنها غير موجودة .

ـ أهذا كل ما فى الأمر ؟ إذن هل رآها من أحد من قبل ؟ .. هل تصعدان إليها ؟ صرخت سارة صرخة مكتومة .. فلم يتمكن كرم من نسج المزيد من الأكاذيب فانفجرت :

ـ مؤمن .. إنها مخيفة .. تقطن فى مكان مرعب.. إنها تأتى لى فى أحلامى بشعرها الأشعث وعينيها الحمراء الجفنين كالدم وذقنها المدبب وأظافرها الطويلة وهذه الخرق السوداء البالية التى تتناثر منها كأنها تنمو على جسدها ..

التصقت بالمقعد الذى أجلس عليه .. وأحسست بضربات قلبى كأنها قطرات المطر فوق طبل مشدود.. وتمنيت لو وجدتنى فى السفينة أعود لأمى..

ـ مؤمن .. أين ذهبت ؟ فيم تفكر ؟

ـ لا .. لا شىء إطلاقاً .. أهذا كل ما فى الأمر؟.. لم أعرف حتى الآن أسرار هذا المكان ..

ـ ستعرف كل شىء فى حينه يا صديقى .. ودع الأيام تثبت لك أنه لا شىء يدعو لكل هذا الخوف ..

والآن يكون النوم المبكر ذا فائدة عظيمة .. عليك الآن بالذهاب إلى حجرتك .. إنها المجاورة لنا مباشرة.

وودت لو أبقى معهما فى حجرتهما .. لا أقدر على السير .. أنظر إلى سارة وعينيها المشفقتين على مما زادنى خوفا وهلعا .. أعطتنى بعض الأغطية ووسادة صغيرة وذهبت معى إلى حجرتى المزعومة.. وفتحت لى الباب .. فاقتحم ضوء السراج الذى تحمله قبلنا .. الحجرة ذات سقف عال وجدران رطبة ونافذة يتيمة من أعلى الجدار إلى ما يقرب الأرض تطل على البحر وتمتاز بأنها هادئة .. وعلى أحد الجدران كانت هناك لوحة لطائر جارح ينقض على أرنب برى مسكين .

ـ ما رأيك ؟ .. يبدو أنها ستعجبك وسترتاح معنا.

ـ سيدتى .. ما الذى يحاول السيد كرم إخفاؤه عنى ؟ وأنت أيضا .

ـ لا .. لا شىء .. لا شىء ..

حاولت أن تخفى مشاعرها .. ولسان حالها يقول: « كيف ساعود إلى حجرتنا وأقطع هذه المسافة وحدى ؟ » وتركتنى مع فراش وثير ومقعد خشبى كبير ومنضدة عليها السراج الزيتى ومرآة بيضاوية ونافذة تحجبها ستارة متآكلة . وعندما أغلقت الباب .. ساد صمت مطبق وشعرت أننى فى عزلة عن الكون .. تنهدت وأخذت أسوى الفراش وأحاول جاهداً أن أنشغل مستعرضاً فى ذكرياتى

الجميلة المفـردة عسى أن أجد فيها مـا يؤنس وحشتى وحرت هل أطفئ السراج أم أجعله موقدا .. عامة أنا لا أحب أن أنام فى وجـود الضوء .. وأحـسست أن الظلام الدامس إذا ابتلعنى سيكون النوم فى جوفه .. فنفخت فيه وأنا تحت الغطـاء .. وياليتنى ما فعلت .. ليتنى ما فعلت كان ضوء السراج يمنع النظر من رؤية النافذة بالضوء القمرى الذى يـجسدها .. فلما انطفأ لم أجد الظلام الدامس .. بل وجدت النافذة السوداء العمـلاقة جاثمـة فوق صدرى وهيئ لى أن الستـارة تتـحـرك .. ولكن من أين يأتى الريح ؟ . أغـمـضت عـينىّ وأغـرقت نفـسى فى صـمت إلا من أنفـاسى المتلاحقـة التى تؤنس وحدتى .. وفجأة صـفع الهواء النافـذة فـانـفـتـحت بقـوة كـادت تكـسـر الزجـاج وأفسحت الستـارة الطريق للريح والصوت .. قمت

مندفعا أقاوم شدة الريح وحاولت إغلاق النافذة والصوت المخيف ينبعث ضعيفًا من مكان ما .

كان يقوى رويدا رويدا .. إنه صراخ امرأة تتلوى كأنها تحترق .. الصوت كاد أن يقتلنى وهو يزداد شيئا فشيئا .. نظرت خارج النافذة فلم أرى شيئا وأقنعت نفسي بأنها تهيؤات .. وأغلقت النافذة بعد عناء شديد .. وعدت تحت الغطاء أنظر لها .. كان الصوت ما زال يصدى فى رأسى .. وقلبى يكاد يقفز وأطرافى ترتعش .. وأحسست أن الصوت يريدنى.. وفجأة حطم الصوت النافذة وانتفضت بسرعة وقوة لأتلقى صرخة مؤلمة حادة وبدلاً من أن أندفع من الفراش جذبت الغطاء بسرعة فوق رأسى فكادت أنفاسى المتلاحقة أن تحرقه .

حاولت أن أسـد أذني .. ولا جدوى .. فـقررت قتل الخوف وانتـفضت من الفراش فكادت الريح أن توقـعنى .. وبدلاً من أن أحاول غـلق النافذة اتجـهت للبـاب وفـتحـتـه بسـرعة لأجـدها أمـامى مـباشـرة فصرخت .

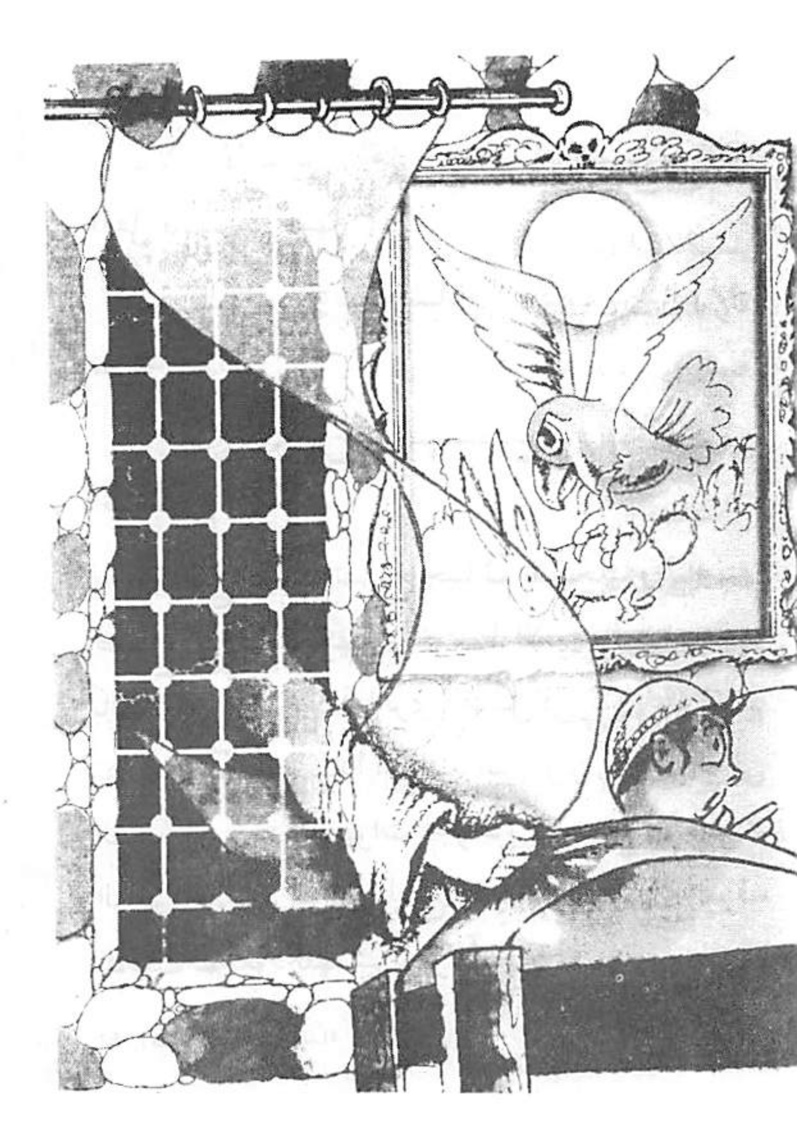
ـ آه .. آه ..

ـ لا تخف يا مؤمن .. أنا سارة ... لقد توقعت أن تفعل ذلك .. فأتيت إليك

ـ آه .. السيدة سارة .. ما هذا ؟ . ما الذى يحدث هنا بالله عليك ؟

ـ إنهـا المجنـونة .. لقـد حـان مـوعـد الكابوس الليلى.

وتحـركت أريد الذهاب إلى مـصـدر الأصـوات التى اختفت عندما فتحت لسارة الباب .



ـ لا .. لا تفـعل .. هل جننت ؟ إذا كنت لابد أن تفعل فانتظر فى النهار ..

ـ فى النهار .. وكيف سـأنام ؟ وكيف نترك امرأة تصرخ هكذا ؟!

ـ إنهـا لا تصـرخ .. ألم تسـمع .. وتتـأمل فى أصواتها .

وبالفعل كـانت تصرخ حينا ثم تضـحك ويلتحم صـراخـهـا بضـحكهـا ويختـلـط الأنين بالسـخـرية بالصـراخ القـاتل كـأنما ترى القـتـل فى كل لحظة ثم تصـمت فجـأة فـتبـدأ النوافـذ التى تزين الأبراج فى الصفع وسمعت أصـوات أجراس تتبادل مع صوت السلم الحديدى المؤدى للبرج وهو يهتز بعنف العزف المخيف ثم تعود للهستيريا مرة أخرى ..

عدت مرة ثانية إلى فراشى بعد أن أحكمت بشدة بمساعدة سارة إغلاق النافذة وكانت قد هدأت الأصوات وعاد الصمت الرهيب يطبق على صدرى.. وظللت أنتظر الجديد وأنا فى هلع شديد .

- صباح الخير يا مؤمن .. هل نمت جيدا بالأمس؟

- صباح الخير يا سيد كرم .. فى الحقيقة إن الحياة هنا مثيرة لحد الجنون .. شيء ممتع .

- هاها .. تعال .. إن السيدة سارة أعدت لك إفطارا لذيذا ..

- سأصلى الصبح يا سيدى .. وألحق بكما فى الحال .

مضت الليلة الأولى ولا أدرى كيف نمت .. فلولا إدامة ذكرى لله وقراءتى للقرآن ما استطعت النوم؟؟

ـ ما رأيك فى الطعام ؟ ..

ـ لذيذ يا سيدتى .. الإفطار كان لذيذا وهذا الغذاء بالطبع ألذ .. ترى إلى أين سيذهب زوجك الآن ؟

ـ آه .. إنه يعد العدة للتنقيب عن اللؤلؤ كما تعرف ..عسى أن يعود إلينا على العشاء بالمزيد منه .

ـ كنت أود مرافقته .. ولكن أخشى أن أتركك وحدك يا سيدتى .

ـ الأيام كثيرة يا مؤمن .. هل لك فى جولة بالقلعة قبل حلول الليل ؟

ـ أريد زيارة المجنونة يا سيدتى ..

ـ عفوا يا مؤمن .. يمكنك أن تفعل ذلك ولكن

بدونى .. فأنا ..

ـ آه .. نعم نعم ..

إن التغلُّب على المخاوف يحتاج إلى إرادة حديدية وقوة وصلابة .. والسكوت على الخوف ذل ما بعده ذل .. واقتحام المرء للخوف يهبه الحياة .. وإن قمة العجز هو العيش والنوم على الفراش بلا أمن ولا أمان .

تقدمت للردهة تشيعنى نظرات السيدة سارة كأنها لن تراني ثانية .. واتجهت إلى السلم وعندما أمسكت مقبض الترابزين اهتز السلم كأنه ينوى السقوط .. كنت أصعد كل درجة ونظرى لا يبرح نهاية الحلزون السقيم وكلما صعدت انقبضت وزاد تشبثى بالترابزين .. وأخذ السلم يهتز ويرتج .. هناك

من يأبى زيارتى ..

صرخت سارة من أسفل :

ـ انزل.. انزل يا مؤمن بسرعة .. السلم سينهار.. انزل .

ومن الارتفاع الذى وصلت إليه قفزت إلى الأرض .. وعجبا أن السلم قد ثبت بعد نزولى .. وأدركت ساعتها أننى لا يجب أن أصعد قمة البرج .

ـ ها ها ها .. شىء غريب يا مؤمن .

ـ أتضحك يا سيد كرم ؟ .. لقد كنت فى موقف لا أحسد عليه .

ـ أعتقد أنك واهم .. لأن السلم شديد القدم ولابد أنه يعانى الضعف وهذا أمر طبيعى .. والآن

هل ستدعنا ننام وتذهب إلى حجرتك ؟

في هذه الليلة ذهبت إلى الحجـرة وحدى وبيدى سراج الزيت ودخلت أنظر للنافـذة وقلبى يخشى أن يحدث ما حدث بالأمس .

كل هذا الخـوف جـعل النوم يفـر مـن عـينىَّ .. وضـعت السراج ولا أدرى لماذا هرعت إلى الفـراش ودلفت تحت الغطاء .. وأخـذت أقـرأ القرآن وأذكـر الله .. ومر وقت طويل حتى كاد جفناى أن يستسلما للنوم فسمعت صرخـة حادة ثم ساد صمت مطبق .. ولكن هذا الصوت يخـتلف عما سمـعته بالأمس .. وتنبهت للحظة .. إنه صوت السيدة سارة .

- سيدى كرم .. افتح .. افتح يا سيدى .. سيدتى سارة .

لم يرد علىّ أحد .. أخذت ألهث وقلبى يكاد يتوقف وأنا أدق بكلتا يدى الباب .. ولكن لا مجيب.. أخرجت السيف وأدخلته فى فرجة الباب فانفتح فلم أجد شيئا .. عدت أجرى أحمل السراج ونظرت فى الحجرة .. فلم يكن هناك أثر للعائلة التى استضافتنى .

ولأول مرة أشعر بالرعب الحقيقى .. إنها الوحدة وسط الظلام .. دخلت الغرفة كأننى أفتش عن إبرة فى كوم من القش ولا أثر للجميع .. وبدون مقدمات تعالت ضحكات المجنونة الهستيرية وبكاؤها المرير وصفقت النوافذ ونبحت الكلاب ونعق البوم .. وارتعدت أوصالى .. وعدت أجرى لحجرتى لأجد بابها مغلقا .. ولما حاولت فتح الباب

لم أقدر وقررت على الفور الفرار من القلعة .

كنت أجـرى وبيـدى الـسـراج يكاد ينطفئ من اندفـاعى فـى الهـواء تطاردنى الأصـوات المـرعـبة وعندما وصلت للباب الرئيسى لم أجده مفتوحا ولم أستطع فتحه فادركت أننى فى مأزق وأخذت أتراجع للخلف وأنا أحاول تفسـير ذلك الظل الذى يتلاعب على الجـدار فى ضـوء خـافت .. أخـذ يتـشكل فى أشكال غــريبــة .. تصلب عنقى واخــتنق صــوتى وأردت الصـراخ فلم أقـدر .. اقـتــرب منى الشـبح وتحول إلى وطواط مارد وشاهدت مـخالبه وهى تمتد نحـو وجـهى وتأكـدت أن فـمـه الأحـمـر المرتعش يتعطش لدمائى .. لا .. لا ..

ـ مؤمن .. مؤمن .. استيقظ يا مؤمن .. استيقظ



ـ هه .. بسم الله الرحمن الرحيم .. السيد كرم ؟ السيدة سارة ؟ ياه .. ياإلهى هل كنت أحلم ؟

ـ ما كل هذا يا مؤمن .. لقد غطى صراخك على صراخ المجنونة ؟

ـ كابوس مرعب يا سيد كرم ..

ـ لا عليك .. قم فإن النهار على وشك الطلوع..

وجلسنا بعد ذلك نتناول الإفطار ..

ـ سيد كرم .. هذه القلعة مسكونة يا سيدى؟

ـ مسكونة ؟

ـ نعم .. وأنت تعلم ذلك جيدا .. إن قاطنى هذه القلعة يرفضون وجودنا ونزعجهم بمشاركتهم مساكنهم لذا فهم يسببون لنا الرعب والكوابيس .

ـ وما العمل ؟ .. هل نرحل ونتركهم يهزموننا ؟

ـ نحن لا نعرف مدى قوتهم ..

ـ ألست مؤمنا ؟

ـ بلى .. أحسبنى كذلك .. وأعرف ما ترمى إليه.. ولكن ..

ـ نحن هنا يا مؤمن فى هدف كبير .. ولا يجب أن يثنينا أى شىء عن تحقيقه

ـ سيدتى سارة .. ما رأيك فى هذا الكلام .

ـ غير موافقة عليه .. فأنا لا أضمن أن يصيب طفلى ولا يصبنى أنا أو زوجى ضرر كبير .

أخذنا نتناقش وأنا سعيد بأمان نور الشمس والنهار.. وأتمنى لو أن يصبح النهار سرمدا ولا يأتى

الليل المخيف .. ولا أعرف لماذا أصابنى الجبن فى هذه المغامرة . وكأن الشيطان يريد أن يستحوذ علىّ فيفقدنى شجاعتى .. الله معى .. الله معى .

وكنت أدرك أن الخوف قابع فى قمة البرج .. ولكن أين السبيل إلى اقتحامه ؟

وأتى وقت الظهيرة وصاحبت السيد كرم فى رحلته لاستخراج اللؤلؤ .. وعدنا وكأننى نسيت كل المعاناة ولما اقترب الليل بدأ صدرى ينقبض .

وعدت بالليل إلى حجرتى .. وأخذت أفكر فيما يحدث .. وخفت أن تعاودنى الكوابيس فأبت عيناى النوم .. حتى بدأ صوت صراخ المجنونة يزداد رويدا رويدا .. وأخذت أضع الوسادة على أذنى وأنا فى قمة الخوف .. حتى أن لهب السراج كان يهتز مع

تصاعد الصراخ والضحك الهستيرى الذى يدوى صداه فى أرجاء القلعة فيزيده عنفا .

وبينما أنا كذلك غشيتنى لحظة نوم فجائية حاولت مقاومتها وبينما أنا كذلك إذ رأيت المرآة تنخلع من مكانها على الحائط وخفت ضوء السراج كأنه يختنق وتحركت المرآة وهى تطير فى الهواء ثم وقعت على فراشى ثم هدأ كل شىء وسكن الصراخ.. رفعت الغطاء عنى وزحفت حتى أمسكت المرآة ونظرت فيها فهالنى ما رأيت إن صورتى فى المرآة كانت فى منتهى الغرابة وتبعث على الاشمئزاز .. فصرخت ورميت المرآة من يدى فاصطدمت بالحائط.. وفجأة عاد الصوت يضحك منى ساخرا فأصابنى مس الجنون وغضبت حتى نسيت الخوف

وقررت عمل شيء .. أي شيء . سحبت حزام السيف وربطته حول خصري وارتديت حذائي وفتحت الباب والصراخ يشتد والأبواب والنوافذ تكاد تحطم القلعة .

اندفعت بدون السراج نحو البهو وتمثل لي السلم كثعبان يهبط من البرج .. وما إن ارتقيته حتى أخذ يهتز ويرتج .. ورغم ذلك لم أبال .. كنت أمسك السلم بيد وباليد الأخرى أحمل السيف وكلما صعدت تزلزل السلم وتعالت الصرخات والضحكات أكثر فأكثر .. وعندما أصبحت في منتصف الطريق كدت أن أسقط للقاع لولا تشبثت بالسلم .. ورغم كل ما كنت أحذره إلا أنني أفلحت في ارتقاء السلم حتى وصلت لقمة السلم ووجدتني

أمام باب يؤدى بـالكاد إلى غرفات البـرج العلوية .. كان مفتوحا فدخلت وصمتت الأصوات تمامًا هذا مما اشعرنى بأهميتى وأن ما فعلته كان له رد فعل مباشر .

ـ أين أنت أيتها المجنونة المريضة ؟ .. اخرجى لى أين أنت يا من تثيرين هذا الصخب المخيف ؟ ..

لم أتلق أى رد .. هذا مما شـجـعنى أكـثـر على التـوغل .. فدلفت إلـى حجـرة وراء حجـرة .. ولم أعـثـر لهـا على أثر .. وفى آخـر حـجـرة فى الدائرة البرجـية عثـرت على أشيـاء بالية ووجدت خـدوشا كثـيرة على الجدران وكـأنها أصابع أخـذت تخدش الحائط حـتى حفرت فـيه حـفـرا ولما دققت فى بعض الخدوش فى مكان آخر كانت كلمات .

« هذه القلعة كـانت قلعا حـصينا .. دافع به أهل

الجـزيرة عنها حـتى ساد الســلام وانعدمت الحـروب واتخذوا من القلعـة سجنا للسحـرة والمجانين .. وأنا كنت أعظـم سـاحـرة فى البــلاد ولم يفلحــوا فى مقاومـتى حتى أتى يوم أخذونى بغتـة ووضعونى فى هذا الســجن وعلمت بالأمس أنهم ســوف يشـعلون فى جسدى النار .. » .

عاد مؤمن مهـرولاً وطرق الباب على كرم وروى له ما حدث وما قرأه على الجدار فقال له كرم :

ـ لقد قرأت أنا وسارة هذه العبارة من قبل يا مؤمن .

ـ ولكنى لم أرى المجنونة المريضة ! ! !

ـ ونحن أيضا لم نرها .

ـ لا .. كيف تقـول هذا يا كرم ؟ أتكذبـنى ؟ لقد رأيتها بنفسى ..

ـ إذن أين ذهبت عندما صعدت ؟

ـ إن زوجتى تعانى من التهيؤات يا مؤمن .

ـ لا .. والله لقد رأيتها كمـا وصفتها لك من قبل بشكلها الشنيع .

ـ وأنا أيضا حـدث لى بالأمس حدث عـجيب .. عندمـا انخلعت المرآة وطـارت حـتى وقــعت على فراشى ولما نظرت فيها وجدت صورتى بشعة .

ـ وفى الصباح أين وجدت المرآة يا مؤمن ؟

ـ الغـريب أنـنى بالليل ألقـيـتـهـا فـاصطدمت بالجـدار.. ولكن فى الصـباح وجـدتهـا فى مكانهـا الطبيعى ونظرت فيها فلم أجد غير صورتى العادية .

ـ إذن فأنت أيضا تعانى التهيؤات يا مؤمن .

قال كرم :

ـ إن فتحات القلعة والثقوب الموجودة فى جدرانها والنوافذ القديمة مع شدة الريح تصنع أصواتا لا يمكن أن أفسرها كما تفسرها أنت وزوجتى يا مؤمن .. أما قصة المجنونة وأصوات الألم والتعذيب كل ذلك لم أسمعه بل أستطيع تمييزه إذا حدث .

كاد السيد كرم أن يصيبنى بالجنون وزوجته أيضا.. المهم أننا أصبحنا اثنين ضد واحد .. وهذه الأمور الغريبة تحتاج للكثرة العددية فى الاقتناع بها .

ـ وما رأيك يا سيد كرم .. فى الكلام الذى قرأته فى حجرة البرج ؟

ـ قد يكون حقيقة .. ولكن ذلك لا يعنى حدوث الظواهر التى تزعمها .

ولأول مـرة أجدنى أفـقد الدليل المادى الملمـوس الذى يمكننى إثبـات حجتى .. فـعجزت عن مناقـشة الرجل وبدأت أشـك فى تصـرفـاتى . وهذه الـليلة دخلت إلى الفراش وأنا أحاول جـاهدا التغلب على الخوف عـسى أن أتمكن من إثبات كـلام السيـد كرم الذى كنت من داخـلى أتمنى صـحـتـه وكـان نومى متـقطعا واسـتحـوذت العبـارة التى قرأتها فـى البرج على ذهنى ورغم أن السـاحـرة الشريرة تستحق أكـثر من ذلك إلا أن فكرة إعـدامها بهـذا الأسلوب آلمتنى بشدة ..

ـ مؤمن .. يا مؤمن .. استيقظ .. افتح الباب

كان صوت السيد كـرم يبدو عليه الفزع .. قمت أفـتح الباب فـلم أجد أحـدا .. فـتعـجـبت وأغلقت الباب وعـدت إلى الفراش وبعد بـرهة جاءنى نفس الصوت وقمت أفتح البـاب فلم أجد أحدا . وظننت أن مكروها أصابهمـا فذهبت إليهمـا وقرعت الباب ففـتحت سارة ووجدت السـيد كرم نائما فى فـراشه ينظر إلى :

ـ تفضل يا مؤمن .. هل تريد مشاركتنا السهر .

ـ سيدى .. هل أتيت منذ قليل تنادى على وتقرع الباب ؟

ـ أنا ؟ .. لم يحدث ذلك ..

ـ سيـدى .. لقد سمعـتك تنادى على وتدق باب غرفتى مرتين وكلما فتحت لا أجدك

ـ هل عدت مرة ثانية للتهيؤات يا صديقى ... سارة .. منذ متى وأنا نائم فى فراشى ؟

ـ من أكثر من ساعتين يا مؤمن .. وهو لم يفتح باب الحجرة حتى دخلت أنت .

ـ إذن من ذا الذى فعلها ؟

ـ ها ها .. خوفك .. الخوف هو الذى هيأ لك .. عد إلى حجرتك يا صغيرى .

عدت للحجرة وأنا فى حيرة من أمرى .. أنا متأكد أنها لم تكن تهيؤات الصوت صوت السيد كرم .. ترز ما الذى يحدث لى هنا ؟

وفى الصباح قمت بعد ليلة مخيفة عانيت فيها من ذات الأصوات المزعجة المخيفة وتوجهت إلى السيدة سارة فأخبرتنى أنها ستذهب بالإفطار لزوجها

الذى خرج مبكرا للبحر وطلبت منى أن أحرس
الطفل الذى كان ينام فى فراشه الأرجوحى ومغطى
بغطاء أبيض حريرى جميل .. جلست فى الغرفة
أهز فراش الصغير ولمحت المكتبة الكبيرة ذات
الكتب القيمة فيما يبدو فتركت الطفل الذى كان
هادئا ولم يبك كعادته ثم توجهت للمكتبة وأخذت
أقرأ عناوين الكتب حتى استوقفنى كتاب بعنوان
«الأرواح والأجسام الغير مرئية» ويبدو أن السيد كرم
كان يقرأ فيه لأن الكتاب كان نظيفا بعكس معظم
الكتب. وقرأت الفصل الأول عن أشياء غريبة
يتخيل المؤلف حدوثها ويحكى عن أحداث مشابهة
لما يحدث لنا فى هذه القلعة وكانت العبارات مشوقة
والموضوع مثيرا فأخذت أقرأ .. حتى استوقفتنى
عبارة خطيرة « إن الأشباح يثيرون الخوف فى

في الأماكن المهجورة .. ويدفعون الإنسان للفرار .. وعندما يشتد غضبهم وينوون الأذى القاتل، فهم يبدأون بالأطفال فيقتلونهم ويحولونهم إلى جثث متعفنة ثم يذبحون الغلمان والصبية والبنات ثم النساء وأخيرا فالرجال الشيوخ والشباب » .

ولما قرأت هذه العبارة التي كان تحتها خط بالقلم الحبر .. تذكرت الطفل الذي أحرسه .. وأحسست أن الدليل بين يدي الآن وأن هذا المؤلف يكذب ويعيش في الخيال .. وإذا برغبة ملحة تدفعني نحو الطفل ثم رفعت الغطاء الحريري عنه . فكتمت صرخة حادة وتصلب عنقي وكاد أن يغشى عليّ .. حيث لم أجد الطفل .. بل وجدت جثة لا أتبين ملامحها.. كانت متعفنة والدود يتكاثر فيها ويلتهمها ورائحتها فظيعة .. وأدركت أن المؤلف كان محقا

فـيمـا قال .. وأن القلعـة مـسكونة بالأشبـاح ورغم بشاعـة المنظر إلا أننى تفـحصت الجـثة بيدى وعـينى حـتى أزيل كل شك فـى أنهـا تهـيؤات .. وفـجـأة تذكرت السيد كـرم وزوجته ومصيبتهـما الكبيرة فى طفلهــمـا ولا بد أننى المسـئول عن هـذا الإهمـال الجسـيم.. ووجدت نفسى أهـرع خارجا من الغـرفة متوجها إلى الشاطئ .. كـانت السيدة سارة من بعيد آتيـة وبيـدها السـلة التى وضـعت فــيهــا الإفطار لزوجهـا.. جريت نحـوها وأخبـرتها ببـشاعـة الأمر فصـرخت وانتصـبت وجرت معى عـائدة وإذا نحن كذلك قالت لى :

ـ أرجوك .. اذهب واستدع زوجى .. أرجوك ..

واندفعت أجرى مرة ثانية نحـو السيد كرم فرأيته يخرج من البحـر ولم أجد أثرا للإفطار على الشاطئ

فأدركت أنه لم يشأ تناوله على البحر وأسرعت إليه أخبره بالأمر .. وبداية لم يصدقنى ثم اندفع يجرى معى نحو القلعة وعندما دخلنا وجدنا السيدة سارة تأتى من الغرفة كالمجنونة تصرخ وتبكى ولدها .. ورغم فداحة الأمر إلا أننى سعدت أن ما حدث لم يكن تهيؤات فهناك الدليل .

ـ كرم .. كرم .. لقد تحلل الطفل وأصبح جيفة يأكلها الدود .. إنه شىء مريع مخيف يا كرم .. أنقذنى .

وجرينا نحو الحجرة وتقدم كرم ورفع الغطاء بحذر فهالنا ما رأينا .. كان الطفل نائما فى جماله الملائكى ولما رفع والده الغطاء ابتسم لنا فحمله السيد كرم وضحك ونظر لى أنا والسيدة سارة :

ـ ها ها .. تهيؤات .. أنتما بلا شك أصابكما

الجنون .. أين الدود والعفن والتحلل ؟

نظرت لسارة وتبادلنا الدهشة ثم جلست مكانها على الفراش تفكر وتعجبت أنه فى مثل هذه الأحوال لا بد للأم أن تحتضن طفلها وتقبله ولا تدع أحداً يأخذه منها لفترة طويلة ولكنى التمست لها العذر فيما شردت فيه فلا شك أنها صدمة مروعة .

وعدت إلى حجرتى وأنا عازم على الرحيل .. فما رأيته فى هذا المكان يشيب له الصبى .. وقررت أنه فى الصباح سأتوجه إلى المرسى فى انتظار إحدى السفن السيارة لتأخذنى بعيداً وكانت هذه هى الليلة الأخيرة .. فلم ينم لى جفن وأخذت أفكر فى كل ما جرى لى والأحداث العجيبة المخيفة .. وما توصلت إليه هو أن بهذا المكان أشياء ترفض وجودى وتخيفنى حتى أرحل .. لذا فلا بد من الرحيل .

ولكنى حتى ذلك الحين لم أخبرهما بمقصدى .

وجلست على طرف الفراش ألوم نفسى .. يا مؤمن .. يا من توحد الله عز وجل .. المؤمن لا يخاف فلماذا كنت بهذا الجبن ؟ ولماذا تملك الشيطان حواسك ؟ .. أين ذكر الله ؟ لا تنسى ذكر الله يا مؤمن، ألا بذكر الله تطمئن القلوب إن الجن مذكور فى القرآن الكريم حقًا .. ولكن لا يمس الإنسان منه السوء إلا بإذن الله وأن قوى الإيمان يخيف بإيمانه كل شيطان ويتقوّى بالله على ذلك .. يا مؤمن أنت مخطئ فى هلعك .. فليكن الله معك فى معيتك ولا تخش إلا الله .. لا تخش إلا الله .

احسست لأول مرة بعروقى تنتفض وكأن قسطًا من الشجاعة يُصب فى قلبى ولم يعد للخوف مكان فى قلبى وقررت قبل الرحيل أن أستكشف المكان

كما تعودت وأن أفتش فى كل جزء منه عن الحقيقة مهما كان الثمن .. رغم الظلام .

وفتحت باب الحجرة بهدوء وتحركت بالسراج ووجدت غرفة السيد كرم وزوجته مغلقة .. فتحركت نحو البهو وزرت كل الحجرات الخالية فلم أجد شيئا فتوجهت ناحية السلم الحلزونى وبدلا من الصعود هبطت دركًا ضيقًا تحت السلم مباشرة فوجدت بابًا عانيت حتى فتحته بنصل السيف ثم هبطت دركًا آخر إلى باب ثان فتحته أيضًا بعناء شديد فوجدت غرفة سفلية هبطت إليها على درجات قليلة وسرت أنظر فيها .. كانت تحوى متاعًا قديمًا متهالكًا ولم يكن هناك غير باب فى نهايتها ما إن اقتربت منه حتى سمعت صراخًا شديدًا يشبه صراخ المجنونة .. وحاول الخوف أن يتمكن منى .. كان الباب يخبط بشدة من الداخل وصراخ شديد



وكلام لا أتبين معناه .

وأدركت أن هذه الحجرة وخلف الباب تقبع الشياطين والعفاريت المخيفة .. وأدركت أيضا أن علىَّ ألا أرمى بنفسى فى التهلكة .. كفانى ما تأكدت به من ظنون وعدت أدراجى وكلما ابتعدت زاد الصراخ والقرع واللغط .. ودخلت حجرتى . وفى الصباح ودعت السيد كرم وزوجته وهما يأسفان على ذلك وقررت التوجه إلى الشاطئ الذى نزلت فيه أول مرة .

وبينما أنا فى الطريق ألقيت نظرة على القلعة المخيفة من بعيد وأنا آسف على ما حدث وحزين لفشل المغامرة .. لأننى حتى الآن لم أعثر على الجوهرة .

وأخذت أنظر للصخور الغريبة ولمحت من بعيد

كومًا من القمامة .. وأدركت أن السيدة سارة تلقى فيه بالقمامة ثم يحرقها زوجها بعد كل فترة .. ولا أعرف ما الذى دفعنى للتوجه نحو الكوم الذى يقبع بين الصخور .. مجرد فضول ليس إلا وكأنها آخر أشياء من رحلتى فى القلعة .. أودعها .

ووقفت أمام الكوم برهة ونظرت فلم أصدق عينى .. أخرجت سيفى وعبثت بالنصل فى الشىء الذى اجتذبنى .. وكانت ظنونى أسرع من حركة السيف وكأنها تدفعه للوصول إلى حقيقة هامة واخذت أفتش بالكوم فعثرت عليها .. نعم هى الحقيقة التى غفلت عنها .

وقفت والغيظ يقتلنى محاولا تفسير ما يحدث .. وتناثرت الأفكار من راسى وتجمعت مرة أخرى ولكن بترتيب منطقى معقول .. ارتحت له بشدة ..

٦١

فرميت كل متاعى وتوجهت عائدًا إلى القلعة . كان السيد كرم وزوجته يتناولان الإفطار على الشاطئ المعتاد .. فلم أرهما نفسى ودخلت على الفور متوجها إلى البدروم الذى كنت فيه بالأمس وتم لى ما كنت أعتقده .. كان لا بد من مواجهة أخرى .

وعندما فتح كرم وزوجته الحجرة وجدانى جالسًا إلى المكتبة وبيدى الكتاب الذى قرأت فيه عن جثة الطفل فدهشا للقائى .

ـ مؤمن .. مرحبًا .. لقد عدت إذن ونويت على المواجهة .

ـ نعم .. إنها مواجهة بالفعل .. لقد فهمت الحقيقة .

ـ إذن أدركت أن كل ما يحدث كان مجرد تهيؤات ؟

ـ بالتأكيد .. تهيؤات كانت فقط تدفعنى للجنون والرحيل من هنا ولكنى قررت البقاء .. ما رأيك فى هذا الكتاب ؟

ـ آه كتاب الأشباح ؟

ـ تصور يا صديقى السيد كرم .. أن هناك من مسح السطور وكتب عليها عبارة قتل الأشباح للأطفال وتحويلها إلى دود وعفونة .. ولكنه كان ماهراً واستطاع تقليد خط الكتاب فلم أتبينه عندما قرأته.

ـ آه .. نعم .. نعم .. يبدو أنها أيضا من جراء المخاوف .

ـ سيدتى سارة .. لم يحدث أبدا منذ جئت إلى هذا المكان أن أسمع أصوات المجنونة المريضة ونحن مجتمعون .. لقد سمعته فعلاً يا سيد كرم ولم يكن خيالاً وتهيؤات .. ولكن دائما لم تكن السيدة سارة

معى ... ألا يوحى لكما ذلك بشىء ؟

قالت سارة :

ـ وما الغرابة فى ذلك يا مؤمن ؟ أنا أيضا أسمعها ولكن كرم لا يصدقنى .

ـ إذن سنبيت هذه الليلة معـا فى حجرة واحدة .. وأتحدى لو جرأت هذه المجنونة المريضة على ذلك .. ما رأيكـما إن لعبـة ربط المرآة بالخيط وجـذبه تخص الأطفال فقط .

ـ ماذا بك يا مؤمن ؟ هل أنت متعب ؟

ـ كنت مـتـعـبـا من قـبل .. ولكنى اليـوم ارتحت والحمـد لله .. الغريـب يا سيد كـرم أن الصوت الذى نادانى وقرع باب حـجرتى كـان صوتك ورغم ذلك أنت تؤكد أنك لم تترك الفراش منذ ساعات .

ـ وهذا صحيح .

ـ آه .. تهيؤات يا أخى ..

ـ مؤمن .. أنا لا أحب لهجتك هذه .. ماذا تريد؟

ـ لا شيء يا صديقى السيد كرم ويا سيدتى سارة.. كيف حال الطفل الحبيب .. كل ما فى الأمر أننى وجدت مفتاح اللغز فى كوم القمامة ويبدو أن العفاريت أرادت تنظيف القلعة ومساعدة السيدة سارة فى ذلك .

ـ ماذا تقصد يا مؤمن ؟ .. هل ..

ـ قبل أن تكمل كلامك يا سيد كرم .. أنا سأحكى لك القصة من أولها لآخرها .. هناك سيدة مريضة حقا .. ولكنها غير مجنونة .. حبسها شخصان مجرمان فى قبو بأسفل هذه القلعة حتى يسرقا كنزها ولما قاومتهما وقع صندوق المجوهرات

في البحر .. على الشاطئ .. وأخذ السيد كرم يغوص في الماء كل يوم بحجة استخراج اللؤلؤ .. بينما هو يجمع الحلى التى رسبت فى رمال الشاطئ تحت الماء ولما أرسل اللهّ غلاما اسمه مؤمن إلى هذه المرأة لإنقاذها .. قمت ياسيدتى سارة بتمثيلية رائعة أنت وزوجك .. نجحتما فى استدراجى إليكما وأخذت السيدة سارة تصرخ وتضحك وتوحى لى بأن ذلك من أفعال الشياطين .. بينما صعد السيد كرم وكتب فى الحجرة كلاما عن الساحرة .. إنها تمثيلية رائعة .

وبعد ما تحملت هذا الأمر أخذ السيد كرم ينادى علىّ ثم يختفى حتى يزيد جنونى ومخاوفى .. وفى النهاية قام بالمسرحية العفنة الدودية .. عندما وضع هو وزوجته قطعة السمك العفن بدلاً من الطفل الذى حملته الزوجة فى سلة الطعام .. ولكنى لما

تساءلت عن عدم وجود أثر للإفطار على الشاطئ كان ظنى حسنا . وعادت الزوجة تنوح ومعها طفلها فى السلة وأبعدتنى عن الحجرة لما طلبت منى استدعاء زوجها .. وقامت بوضع الطفل مكانه وأكملت التمثيلية .. ولكن الله أراد للحقيقة أن تشرق وللباطل أن يغيب وأن أعثر على الجثة المزيفة فى كوم القمامة

كنت أتلو هذا الحديث .. وهما فى دهشة . وحاول كرم أن يقوم من مكا نه فسحبت السيف بسرعة :

ـ اعلم يا صديقى كرم .. أن سيفى هذا أسرع من أى شىء .. وأننى أمهر من يستخدمه .. فأرجو ألا تتهور . والآن أخرج الكنز

وقمت وفتحت الباب فدخلت السيدة المسكينة

التى كانت محبوسة فى قبو القلعة والتى ظننت من قبل أنها من الشياطين المزعومة .

ـ والآن يا كرم .. هلا أخرجت صندوق المجوهرات .

أخذت سارة تبكى .. وتلوم زوجها .

ـ مالنا نحن ؟ مالنا والحرام يا كرم ؟ هذه هى العاقبة .. ليتنى ما أطعتك فى هذا الجنون .

ـ وماذا كنا نفعل يا سارة ؟ الفقر يأكلنا كل يوم ونبيت فى العراء .

أخذ كرم يبكى بكاء أحسست فيه بندمه الشديد.. وقال لى :

ـ يا مؤمن .. إن الله حقا قد أرسلك لإظهار الحق.. ورغم أننى حاولت إبعادك .. إلا أن مشيئة الله كانت فوق قوتى وكل قوة .

ـ اسمع يا سيد كرم أنت وزوجتك .. لقد أنقذكما الله من الحرام .. وأنقذ الطفل الصغير من النار .

ـ النار ؟ !

ـ نعم يا سيدتى .. ألا تعلمين أن كل جسم نبت من غذاء حرام .. النار أولى به وأن الإنسان الذى يأكل أموال الناس بالباطل إنما هو فى الآخرة من الخاسرين كما أنه لن يمكنك بعد ذلك أنت ولا زوجك عبادة الله أبدا .

ـ أبدا ؟!

ـ إلا إذا تخلصتما من المال الحرام الذى معكما .. إن رسولنا بين لنا أن من يشترى رداء بعشرة دراهم فيهم درهم من حرام فلا يقبل الله منه صلاة ولا قيام طالما كان هذا الرداء على جسده .. إن الذى يحج



إلى بيت الله الحرام راجيا المغفرة والعودة كيوم ولدته أمه .. وكان فى المال الذى أنفقه على الحج مالا حراما .. فإذا وقف وقال: لبيك اللهم لبيك رد عليه الملك وقال: « لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك »

ـ أرأيت ؟ أرأيت يا كرم .. كل ما كنا سنذهب إليه ؟ تأكد يا مؤمن أنها أول مرة نلجأ فيها لذلك ..

ـ يجب أن يكون الإنسان قويا يا سيدتى .. ولا يطيع الشيطان .. إنه يأمر دائما بالفحشاء والمنكر ويدفع المرء إلى الخطيئة وطريق النار .

أحضرت بعد ذلك طعاما للسيدة المسكينة وجلست تأكل وشربت وارتاحت على الفراش وكان كرم وسارة يحتضنان طفلهما فى ركن الغرفة يبكيان ما أقدما عليه وأخرج من قبل كرم صندوق

المجوهرات . وبعد ذلك تكلمت السيدة لأول مرة .

ـ يا كرم .. يا سارة ... إن الله غفور رحيم ... وهو يغفر لعباده ويعلمهم أن يغفروا لبعضهم البعض.. وإن العفو عند المقدرة من شيمة الصالحين.

لذا فأنا أغفر لكما وأسامحكما .. ولولا أننى أدركت مدى الندم الذى أنتما عليه ما عرضت عليكما هذا العرض .

ـ أى عرض يا سيدتى ؟

ـ أنا امرأة أعيش وحدى بعد أن تركنى ولدى ليجوب بحار الدنيا .. فأنا أعرض عليكما أن تصبحا كأولادى وطفلكما كحفيدى وأن نكون أسرة واحدة.. وأنا أيضا أطلب منكما الصفح .. لأننى امرأة غنية ولدى الكثير من المال ولم أفكر يوما فى الفقراء .. لذا نالنى منهم الخطر .. والأولى بى أن

أرعاكم وأتصدق عليكم .. ما رأيكما .

كاد كرم وسارة أن يطيرا من الفرح وقاما يقبلان السيدة ويعتذران ورأيت أمامى أسرة واحدة فى غاية السعادة تحوطهم البهجة والحب والأمان ولم يكن جزائى بعد كل ما رأيته إلا أن أنعمت علىّ السيدة بإحدى جواهرها الثمينة فتذكرت ما كنت أسعى إليه وشكرتها وشكرونى والشكر لله فى الأول وفى الآخر .. وعدت أحمل متاعى إلى الشاطئ ولاحت من بعيد السفينة السيارة .

تمت بحمد الله تعالى